

غياب الدور التعليمي للمساجد - الأسباب والمعالجات -

**The Absence of the Educational Role of Mosques
- Causes and treatments -**

**Dr. Muhammad Hassan Ali Zahir
Al- Imam Al- Adham College /
Department of Fundamentals of
Religion - Nineveh**

د. محمد حسن علي ظاهر
كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة/
قسم أصول الدين / نينوى

altayye750@gmail.com

تاريخ القبول

٢٠٢١/٥/٢٤

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/٤/١٨

الكلمات المفتاحية: المساجد - الدور - التعليمي - التربية - المدارس

Key words: Mosques – Role - Educational – education - schools

المخلص

يتناول البحث الأسباب الرئيسة لغياب الدور التعليمي للمساجد، ذلك الدور الذي طالما اضطلعت للقيام به المساجد عبر العصور الإسلامية بدء بعصر صدر الإسلام والعصور اللاحقة، أيام كانت المساجد المكان المعهود للعلم والتربية والفتوى والقضاء وإدارة شؤون الدولة، فضلاً عن وظيفتها الأساسية في إقامة شعائر الدين. ففي الناحية التعليمية كانت المساجد المدارس الأساسية والمراكز التي تشع منها ومن أركانها وحلقاتها أنوار العلم الذي طالما أضاءت ظلمات الجهل والتخلف، وخرجت من جهاذة العلم ما لا يعد ولا يحصى. ثم يبين البحث اضمحلال هذا الدور وغيابه في ظل واقعا المعاصر والأسباب الكامنة وراء ذلك، ويعرج إلى بيان المعالجات التي يراها الباحث قد تكون مناسبة للعودة بالمساجد إلى الريادة والصدارة العلمية والتعليمية.

Abstract

The research deals with the main reasons for the absence of the educational role of mosques, that role which mosques have always assumed throughout the Islamic eras, starting with the era of early Islam and later eras, the days when mosques were the usual place for knowledge, education, fatwa, judiciary, and administration of state affairs, in addition to their primary function in establishing the rituals of religion. Regarding the educational aspect, mosques were the basic schools and centers that from them and their corners glow the lights of knowledge that have always shone the darkness of ignorance and backwardness, and from which graduated countless number of scholars of knowledge. Then the research shows the decline and absence of this role in light of our contemporary reality and the reasons behind it, and then the research demonstrates the treatments that the researcher sees suitable for returning mosques to scientific and educational leadership and prominence.

المقدمة

الحمد لله رافع السماوات بغير عمد وبإساط الارض على ماء جمد، هو الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمةً للعالمين وجعله هادياً ومرتباً ومعلماً وقدوةً للمؤمنين محمد بن عبد الله الصادق الامين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد:

فمع بداية بعثة النبي (ﷺ) جاء التأكيد الالهي على أهمية العلم والتعلم وتجلي ذلك بكل وضوح مع أول سورة نزلت على قلب الحبيب المصطفى وهي قول الله تعالى في سورة العلق ﴿ أَفَرَأَى بِأَسْمِرِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَفَرَأَى الرَّبُّبُ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾^(١). فكان (ﷺ) يعهد بتعليم الصحابة أمور دينهم ودنياهم وتربيتهم التربية الصالحة، وكان ذلك كله في جناح الليل في شعاب مكة وفي دار الأرقم ابن أبي الأرقم (ﷺ) بعيداً عن عيون قريش، حتى أكرم الله تعالى ست نسمة طيبة من أهل يثرب بقاء النبي (ﷺ) في موسم الحج من السنة الحادية عشرة للبعثة، فأمنوا به وصدقوه ورجعوا إلى قومهم حاملين معهم رسالة الاسلام، ثم كانت بعد ذلك وفي السنتين التاليتين بيعتا العقبة الأولى والثانية، اللتان تمخضتا عن هجرة النبي (ﷺ) والمسلمين من أهل مكة إلى المدينة المنورة وتأسيس دولة الاسلام فيها، فقويت القلة القليلة من المؤمنين بعد ضعف، وكثرت بعد قلة، ونصرها الله يوم نصرته وحقق آمالها لما صبرت، فانطلقت تنتشر الاسلام في أرجاء الارض وتحطم عروش الجاهلية ومعتقداتها، حتى أتم الله لهم ومكنهم في الارض فانتشروا في أرجائها وفتحوا البلاد، ومصروا الامصار، وهزموا أقوى الممالك على وجه الارض في ذلك الوقت، وبلغوا رسالة ربهم إلى أرجاء المعمورة في مدة وجيزة.

ما إن وصل رسول الله (ﷺ) المدينة المنورة حتى بدأ بإقامة المجتمع الجديد ووضع خير الاسس لأعظم مجتمع يترقبه التاريخ، وأسس هذا المجتمع الجديد هي بناء المسجد وأسماه بيت الله، ثم جاءت المؤاخاة، ثم الوثيقة أو الصحيفة أو ما سمي بالدستور - دستور المدينة - .

ومن هنا نجد بأن اللبنة الأولى لتأسيس دولة الاسلام الناشئة تمثلت ببناء المسجد النبوي، والذي كانت له أهمية دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية فضلاً عن الوظيفة التعليمية في حياة المسلمين، ففيه كان رسول الله (ﷺ) يعهد بتعليم الصحابة وتربيتهم التربية

(١) الآيات : ١ - ٥ .

السليمة الصالحة، فأصبح المسجد المكان المعهود للعلم والتربية والفتوى والقضاء وإدارة شؤون الدولة، فضلاً عن وظيفته الأساسية في إقامة شعائر الدين. واستمر المسجد النبوي يحمل كل هذه الوظائف على مدى القرون الطويلة، فنراه داراً للعبادة والصلاة وجامعةً تلقى في رحابه المحاضرات الدينية وفي شتى العلوم الشرعية.

وعلى هذا النهج سار الصحابة الكرام والتابعون الأخيار في تأسيس المساجد مع بداية فتح البلدان وتمصير الأمصار الإسلامية في القرون الأولى للإسلام، فأصبحت هذه المساجد دوراً للعبادة، وقصوراً للإمامة، ومراكز تشع منها ومن أركانها وحلقاتها نور العلم الذي أضاء ظلمات الجهل والتخلف، وخرّجت هذه المساجد من جهاذة العلم ما لا يعد ولا يحصى. واستمر الحال على ذلك إلى أن أسس نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥هـ) المدرستان المشهورتان في بغداد ونيسابور وتعرف كل واحدة منهما باسم المدرسة النظامية نسبةً لمؤسسها الوزير نظام الملك، فبدأ دور المسجد التعليمي يضمحل ويختفي لتختفي معه الأدوار التعليمية للمساجد.

ونظراً للأهمية التعليمية التي تضطلع بها المساجد في المجتمعات الإسلامية ولكونها ضرورة ملحة لتخريج أجيال تحمل العلم الشرعي وتنتشره بين الناس، وجد الباحث نفسه راجباً بأن يقدم بحثه الموسوم " غياب الدور التعليمي للمساجد - الأسباب والمعالجات - ". عسى أن يلقي البحث أذاناً صاغيةً وعقولاً واعيةً وأيدٍ قائمةً بذلك.

وقد تم تقسيم البحث على مبحثين وخاتمة، تناولنا في المبحث الأول تاريخ المساجد عبر العصور وأدوارها التعليمية التي اضطلعت للقيام بها، والذي من خلاله وقفنا عند أهم وأبرز المساجد التي كان لها الدور الريادي في مجال العلم والتعليم بدءاً بالمسجد النبوي ومروراً بالمساجد الأخرى عبر العصور الإسلامية اللاحقة، فجاء المبحث بعنوان " نظرة عامة في تاريخ المساجد وأدوارها التعليمية عبر العصور"، في حين تطرقنا في المبحث الثاني إلى أبرز الأسباب التي كانت وراء غياب الدور التعليمي للمساجد وإلى أبرز الحلول التي يمكن أن تعالج هذه الأسباب في ظل واقعنا المعاصر، فجاء المبحث بعنوان " أسباب غياب الدور التعليمي للمساجد والحلول المعالجة لذلك " ثم خلاص البحث في خاتمته إلى أهم النتائج التي خرج بها.

وختاماً نقول أن كل باحث لا يمكن أن يسلم من السهو ومن الخطأ لأن الكمال لله وحده نسأله جل في علاه أن يوفقنا لما فيه طاعته ومراضيه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول

نظرة عامة في تاريخ المساجد وأدوارها التعليمية عبر العصور

المطلب الأول: أماكن التعليم في عصر الرسالة، والدور التعليمي للمسجد النبوي

أكرم الله تعالى نبيه محمداً (ﷺ) برسالة الاسلام ليخرج بها الناس من الظلمات إلى النور، من عبادة الأبحار والأصنام التي لا تضر ولا تنفع إلى عبادة الله الواحد الأحد، ومن عمى الجاهلية وظلمتها إلى نور الاسلام وعلمه، فحمل (ﷺ) هذه الرسالة على عاتقه وقام وأنذر وصدع بما يؤمر، ودعا العرب إلى توحيد رب العالمين، فلبث في أهل مكة يدعوهم إلى ذلك ما يقارب الثلاث عشرة عاماً، فما آمن منهم إلا القليل ممن أيقن حق اليقين بصدق الصادق الامين الذي ﴿ وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾^(١) وصدق ما جاء به من ربه جل في علاه.

وكان (ﷺ) يعهد بتعليم هذه القلة القليلة أمور دينهم وديانهم وتربيتهم التربية الصالحة، وكان ذلك كله في جنح الليل في شعاب مكة وفي دار الارقم بن أبي الارقم (ﷺ) بعيداً عن عيون قريش، حتى أكرم الله تعالى ست نسماط طيبة من أهل يثرب ببقاء النبي (ﷺ) في موسم الحج من السنة الحادية عشرة للبعثة، فأمنوا به وصدقوه ورجعوا إلى قومهم حاملين معهم رسالة الاسلام، ثم كانت بعد ذلك وفي السننتين التاليتين يبعث العقبه الاولى والثانية، اللتان تمخضتا عن هجرة النبي (ﷺ) والمسلمين من أهل مكة إلى المدينة المنورة وتأسيس دولة الاسلام فيها، وكان أول عمل قام به (ﷺ) حال وصوله المدينة هو تأسيس مسجد قباء ثم مسجد المدينة^(٢).

لم يكن المسجد النبوي مكاناً للصلاة فحسب بل مكاناً للتقاضي بين الناس، ومكاناً لاجتماع الجيش واستقبال السفراء والوفود، ومكاناً تعقد فيه الحلقات للدراسة، إذ كان الصحابة يلتقون حول الرسول (ﷺ) فيأخذون منه القرآن وتعاليم الإسلام، وكان النبي (ﷺ) يجلس يعلمهم

(١) سورة النجم: الآيتان ٣ - ٤ .

(٢) ينظر: السيرة النبوية، جمال الدين أبي محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط١، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة: ١٩٥٥م)، ١/٤٢٨-٤٤٧؛ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي الدارمي البستي (ت: ٣٥٤هـ)، صححه وعلق عليه: عزيز بك وجماعة من العلماء، ط٣، الكتب الثقافية، (بيروت: ١٩٩٦م)، ١/١٠٥-١٢٧.

القرآن وتعاليم الدين الإسلامي ويفتيهم فيما يسألونه من المسائل. فمن هنا نشأت أهمية المسجد كمدرسة للتربية والتعليم على مدى العصور^(١). فأصبح المسجد النبوي وكما أراد منه النبي (ﷺ) المكان الذي يلتقي فيه المسلمون خمس مرات في اليوم يتعبدون فيه ويتدارسون في باحاته، فكان داراً للعبادة ومقراً للقيادة والادارة ومدرسة علمية وتربوية وتشريعية يجتمع في ساحاتها أصحاب رسول الله (ﷺ) وتلقى على منبرها المتواضع التعاليم والدروس، كما كان المسجد مؤسسة اجتماعية يتعلم المسلمون فيها النظام والمساواة وكل ما ينفعهم من أمور دينهم ودنياهم ويمارسون فيها الاخاء والانضباط^(٢). ومنذ ذلك الوقت والمسجد النبوي لا يزال دار علم ينهل منه المتعلمون العلم الشرعي بدأً من يد المعلم الأول صلوات ربي وسلامه عليه ومروراً بحلقات الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين التعليمية ووصولاً إلى الحلقات العلمية التي مازالت تعقد في باحاته حتى يومنا هذا.

المطلب الثاني: الأنوار التعليمية للمساجد عبر العصور الإسلامية اللاحقة:

بالسير على سنة الحبيب المصطفى في أول دخوله المدينة المنورة وبناءه مسجده الشريف سار صحابته الكرام وتابعوهم فانطلقوا ينشرون الاسلام في أرجاء الارض ويحطمون عروش الجاهلية ومعتقداتها، حتى أتم الله لهم ومكنهم في الارض فانتشروا في أرجائها وفتحوا البلاد ومصروا الأمصار وهزموا أقوى الممالك على وجه الارض في ذلك الوقت، وبلغوا رسالة ربههم إلى أرجاء المعمورة في مدة وجيزة. وكان أول عمل يقومون به حال فتح المدن أو تحريرها هو بناء المسجد الجامع والذي كان مع دار الإمارة يشغلان في معظم الأحيان قلب المدينة الإسلامية ومركز الحياة والحركة فيها، ففي المسجد كان الأمير يلتقي بالمسلمين عموماً، ليس في أوقات الصلاة فقط ولكن في العديد من المناسبات الدينية، كما كان جامعة تلقى من على منابره وحلقاته الدروس التعليمية، وقد حافظ المسجد الجامع في كل بلد إسلامي

(١) ينظر: تاريخ التربية والتعليم، أحمد سعد مرسي، عالم الكتب، (القاهرة: ١٩٧٢م)، ص ١٧٤؛ تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، أحمد منير الدين، دار المريخ، (الرياض: ١٩٨١م)، ص ٥٠؛ دراسة في السيرة، عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، دار النفائس، (بيروت: ٢٠٠٤م): ص ١٤٩.

(٢) ينظر: دراسة في السيرة: ١٢٢؛ عمارة المساجد المعنوية وفضلها، عبد العزيز عبد الله الحميدي، ط ١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (الرياض: ١٤١٩هـ): ص ٦٠-٦١.

على مكانته الكبيرة في النفوس، كما حافظ على توسط مركزه في المدينة الإسلامية مهما توسعت رقعتها وامتدت أطرافها خارج أسوارها^(١)، ثم أمسى ليكون علامة ودليلاً على انتشار الإسلام فيها ومظهراً من مظاهر سيادة الدين الإسلامي في الأمصار المفتوحة ثم ليكون مقراً للقيادة وداراً للعلم.

من هنا نجد - ومن الناحية التربوية والتعليمية - بأن المساجد في العصور الإسلامية الأولى وغداة تأسيسها كانت مؤسسات دينية تربوية وتعليمية ينهل منها أبناء الأمصار الإسلامية العلوم والمعارف، حتى أصبح التعليم بمختلف مناهجه ومراحله جزءاً لا يتجزأ من رسالة المسجد في كل زمانٍ ومكانٍ، فمنذ أن حلق الصحابة الكرام حول رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) في مسجده الشريف يستمعون خطبه البليغة، ويصغون إلى أحاديثه الجامعة، ويتلقون دروسه ومواظمه المعبرة، منذ ذلك الحين انطلقت رسالة التعليم داخل المسجد، وحملت المحاريب تلك الراية في شتى مجالات العلوم: في الفقه والأصول والحديث والتفسير واللغة والأدب والتاريخ وغير ذلك، إلى أن خرجت تلك المساجد آلاف النابغين ومئات الأئمة وأفواج المبدعين^(٢).

وخير دليل على ذلك المسجد الأموي الذي بناه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في دمشق والذي كان طيلة تاريخه مركزاً من مراكز العلم الشهيرة، فكان فيه من المدارس: الغزالية، والأسدية، والمنجائية، والقوصية، والسيفية، والمقصورة الكبرى، والزواوية، والشبخية^(٣)،

(١) ينظر: تاريخ المساجد الشهيرة، عبدالله سالم نجيب، (د . ن): ص ٤.

(٢) ينظر: المرجع نفسه: ص ٦؛ وظيفة المسجد في المجتمع، صالح بن ناصر بن صالح الخزيم، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (المملكة العربية السعودية: ١٤١٩هـ): ص ٢١.

(٣) الغزالية: من المدارس الشافعية في الجامع الأموي وتنسب للشيخ نصر المقدسي، والإمام الغزالي الذي أقام فيها في أول زيارة له إلى دمشق. الأسدية: من مدارس الجامع الأموي والتي كانت على المذهبين الشافعي والحنفي، أنشأها أسد الدين شيركوه الكبير. المنجائية: من المدارس الحنفية في الجامع الأموي وتنسب إلى زين الدين بن منجا التنوخي الدمشقي. القوصية: من المدارس الشافعية في الجامع الأموي، وسميت بذلك نسبة إلى واقفها الشيخ شهاب الدين القوصي. ينظر: في هذه المدارس وغيرها: الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت: ٩٢٧هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٤١٠هـ)، ١/١١٤، ٣١٣، ٣٣٣، ٣٨١، ٩٤/٢.

وكان فيه احدى عشرة حلقة للتدريس في مختلف العلوم، منها ثلاث حلقات للاشتغال بالحديث^(١). وجامع الزيتونة الذي بناه القائد الأموي الشهير حسان بن النعمان الغساني في مدينة تونس عام ٨٠هـ^(٢)، فمنذ تأسيسه غدا جامع الزيتونة المركز العلمي الذي تدرس فيه العلوم الإسلامية على اختلاف أصولها وفروعها مع علوم الطب والهندسة والرياضيات، وعرف الجامع إذ ذاك ثلة كريمة من العلماء المتفردين في علومهم أمثال ابن عصفور والقاضي ابن عبد السلام وابن عرفة وابن خلدون وغيرهم^(٣). ومن الجوامع التي لها باع طويل في مجال التعليم جامع الأزهر الشريف في القاهرة والذي بناه جوهر الصقلي للخليفة الفاطمي المعز لدين الله وأكمل بناءه سنة ٣٦١هـ^(٤) إذ صار هذا الجامع ومنذ تأسيسه مدرسة علمية لم يقتصر المدرسون الأولون فيه على العلوم الدينية فقط بل أضافوا إلى ذلك تدريس علوم أخرى كعلم الفلك والرياضيات، وشهد الأزهر في عصر المماليك البحرية والجراسية منشآت أخرى ألحقت به وزيدت فيه وهي ثلاث مدارس كاملة: المدرسة الطيبرسية، والمدرسة الأقبغوية، والمدرسة الجهرية^(٥)، ثم توالى الاهتمام بالأزهر الشريف في العصور اللاحقة، ففي عهد

(١) ينظر: تاريخ المساجد الشهيرة: ص ٩٠.

(٢) ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي(ت:١٣١٥هـ)، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء: د.ت)، ١/١٦٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ص ١٧٧.

(٤) ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي(ت:٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، (القاهرة: د.ت)، ٤/٣٢.

(٥) الطيبرسية: من مدارس الجامع الأزهر، بناها الأمير علاء الدين طيبرس نقيب الجيوش المصرية في عصر السلطان محمد بن قلاوون. الأقبغوية: من مدارس الجامع الأزهر، بناها الأمير أقبغا عبدالواحد. الجهرية: من مدارس الأزهر الشريف كذلك، بناها جوهر القنقائي الجركسي. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي(ت:٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، (بيروت: د.ت)، ٣/٢٨٤، ٤/٣٣، ٥/٢١١؛ وينظر: المرجع السابق: ص ٩٥ - ٩٦.

الملك فؤاد أنشئت فيه كليات أصول الدين واللغة العربية وذلك عام ١٩٣٠م، كما أنشئت مساكن الطلبة والإدارة العامة للمعاهد الدينية، وفي عام ١٩٦١م دخل الأزهر في طور جديد من تاريخه، فقد صدر القانون الذي حوله إلى جامعة حديثة. ومن الأزهر تخرج من العلماء الذين اعتمدت عليهم النهضة الفكرية في مصر والعالم الإسلامي والمشار إليهم وإلى علمهم بالبنان كعبدالرحمن الجبرتي ورفاعة الطهطاوي ورشيد رضا وأحمد حسن الزيات ومصطفى لطفي المنفلوطي ومحمد مصطفى المراغي ومحمد عبده وغيرهم كثير^(١). كما تمتع شيخ الأزهر بمكانة عظيمة في قلوب المسلمين في العالم الإسلامي، لأنه يمثل في منصبه أكبر صرح إسلامي شامخ، وأرفع منصب ديني سام، وإليه يرجع في كثير من الأمور الدينية والاجتماعية والعامة، وقد تعاقب على مشيخة الأزهر رجال شهد لهم العلماء بالفضل والمواقف المشرفة كالشيخ الباجوري والشيخ المراغي والشيخ الشرقاوي والشيخ عبدالحليم محمود وغيرهم من أعلام الإسلام^(٢). ومن الجوامع العريقة بتاريخها العلمي والفكري جامع الإمام أبي حنيفة النعمان في بغداد والذي ينسب للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت: ١٥٠هـ)، فعند هذا المسجد قامت مدرسة دينية عريقة ترجع بتاريخها إلى عام ٤٥٩هـ عندما بنى الملك أبو سعيد محمد بن منصور الخوارزمي "من ملوك السلاجقة" مشهداً أو قبة على قبر الإمام الأعظم، وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية^(٣)، ذات مدرسين وحلقات وترتيب خاص على النمط القديم المتبع في حينه، وكانت تلك المدرسة موطن العلماء ومآب الساعين من طلاب العلم في شتى فنونه، حتى حمل التاريخ أسماء ثلة من مدرسيها وطلابها، أمثال أبي القاسم الزيني وأبي الفضل شجاع وتاج الدين السباك. ثم أمست هذه المدرسة الدينية في عام ١٣٢٨هـ وبالتحديد في عهد السلطان محمد رشاد كلية أدخلت فيها العلوم الحديثة فضلاً عن العلوم الدينية، وسميت كلية الإمام الأعظم. وفي عام ١٣٥٢هـ أبدل اسمها إلى دار العلوم، وكان من أشهر مدرائها في تلك المدة الشيخ سعيد النقشبندي والشيخ نوري الشيرواني والحاج نعمان الأعظمي. وفي عام ١٣٦٥هـ أعيد النظر في أنظمة تلك الكلية، وأدخلت فيها بعض التعديلات، وسميت كلية الشريعة، وعُين عميداً لها الشيخ العلامة حمدي الأعظمي، وهو من المتميزين بالعلم والإدارة. وقد تخرج من هذه المدرسة أو الكلية أو الجامعة في مختلف مراحل تطورها الحديث

(١) ينظر: تاريخ المساجد الشهيرة: ص ٩٧ - ٩٨.

(٢) ينظر: المرجع نفسه: ص ٩٨.

(٣) ينظر: المرجع نفسه: ص ١٦٦.

قوافل من الدارسين شهد لهم العلماء بالفضل والسبق وكانوا خيرة قومهم علماءً ومسلكاً، وأصبحت النسبة إلى الجامعة الأعظمية وسام شرف يحملونه فيقال فلان بن فلان الأعظمي، أي من خريجي كلية الإمام الأعظم^(١).

(١) ينظر: المرجع نفسه: ص ١٧١ - ١٧٢.

المبحث الثاني

أسباب غياب الدور التعليمي للمساجد والحلول المعالجة لذلك

المطلب الأول: أسباب غياب الدور التعليمي للمساجد:

على الرغم من تأسيس العديد من المدارس الدينية الملحقة بالمساجد خلال العصور الإسلامية الأولى إلا أن الدور التعليمي الريادي الذي تصدت له هذه المساجد في البلاد الإسلامية استمر لقرون عدة، فلم تتخل المساجد عن أدوارها التعليمية ولم تفرد المدارس عن المساجد وتستقل بذاتها، فاستمرت المساجد تضطلع بأدوارها التعليمية حتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي عندما أسس نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥هـ) المدرستان المشهورتان في بغداد ونيسابور وتعرف كل واحدة منهما باسم المدرسة النظامية نسبةً لمؤسسها الوزير نظام الملك^(١).

فمنذ ذلك الوقت بدأ الدور التعليمي للمساجد يتضاءل شيئاً فشيئاً، فبعد أن كانت المساجد في العصور الإسلامية الأولى مناراتٍ للعلم وشعلة للنور تضيء درب المتعلمين الذين يقتبسون نور علمهم من حلقاتها العلمية ومن مدارسها التعليمية الملحقة بها، وعلى الرغم من أن بعض هذه المساجد كانت قد حافظت على مكانتها العلمية فخرّجت العديد من الكفاءات والخبرات العلمية في تاريخنا المعاصر، وذلك بعد أن تعلموا ونالوا قسطاً من العلوم الشرعية عند ما كان يسمى بالكتاتيب، إلا أن دور هذه الكتاتيب تضاعل واختفى أيضاً سيما في وقتنا المعاصر ليغيب معها الدور التعليمي للمساجد حتى لم تعد في يومنا هذا بأن تكون المساجد مكاناً للعبادة يلتقي به المسلمون ويؤدون ما عليهم من فرائض لا غير.

ولعل ذلك لم يأت من فراغ بل كانت وراءه أسباب عديدة بعضها تعليمية وأخرى سياسية وغيرها اجتماعية وفكرية، ولعل أهمها:

١. تأسيس المدارس والكليات والمعاهد الإسلامية المرتبطة بالوزارات والجامعات الأكاديمية واتجاه طلبة العلم لتلقي العلوم الشرعية فيها، وهذا ما لا نقف في وجهه ولا نرفضه بل نؤيده ودليل تأييدنا له انتماءنا لكلية الإمام الأعظم (رحمه الله) التي كانت في أمس البعيد مسجداً ثم تطورت لتصبح مدرسةً دينيةً ملحقةً بهذا المسجد، وغدت اليوم كلية جامعة تضم العديد من الأقسام العلمية في بغداد والمحافظات، ومصدر مخرجات تُخرج لنا طلبة علمٍ شرعيٍّ ترفد بقية المؤسسات الدينية ومنها المساجد بالعلماء والخطباء،

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، عزالدين علي بن محمد بن عبدالكريم بن الأثير الجزري (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٩٧م)،

وكذلك بقية الكليات الشرعية والمعاهد الإسلامية التي ترفد المساجد والمؤسسات الدينية بالعلماء والخطباء، لكن ذلك لا ينبغي أن يكون على حساب الأدوار التعليمية للمساجد ولا يؤثر على كون المسجد المؤسسة التعليمية والتربوية الأولى للمسلمين وأن يستمر طلبه العلم بتلقي العلوم فيها بالتزامن مع طلبهم العلم في هذه المدارس والكليات والجامعات، لأن التعليم في المساجد مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتربية فإننا (حينما نقارن بين النتائج التربوية التي كان المسجد يقدمها من خلال الدروس العلمية وبين ما تقدمه المدارس من خلال الدروس العلمية نفسها نجد الفرق واضحاً، حيث نجد أن الدراسة في المسجد يقارنها غالباً الجانب التربوي ويصاحبها الورع والتقوى ... فلا يكاد الدارس ينتظم في حلقات المسجد حتى يتبدل سلوكه وتسمو أخلاقه ويظهر بمظهر المثزن الحكيم ويتقوى إيمانه فينشر هذه الفضائل في أسرته ومن يتصل به من معارفه)^(١).

٢. سياسات بعض الحكومات القائمة على تأسيس المجتمعات المدنية بدعوة تعدد الأطياف والأديان والمذاهب، ناسين ومتناسين بأن المساجد لله وحده وهي لا تؤثر على الحد من إقامة المجتمعات المدنية القائمة على الوحدة والاخاء وقبول الآخر، وإنه وبحكم إطلاق تسمية الجوامع عليها فهي جامعة للجميع بغض النظر عن أديانهم وجنسياتهم أو قومياتهم، فهذا رسول الله (ﷺ) كان يلتقي الوفود في مسجده ويعقد معهم الاتفاقيات بحكم القاعدة الشرعية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢) وبحكم الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة قال عز من قائل ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَرُ﴾^(٣).

٣. وكذلك سياسات هذه الحكومات في تقييض دور المساجد ليس علمياً فحسب بل دينياً واجتماعياً أيضاً، وذلك من خلال إصدار القوانين التي تحقق غاياتها تلك كتحديد مواعيد فتح وغلق المساجد قبل وبعد الصلاة.

٤. ثم إن ما تعرضت إليه البلاد الإسلامية عامة وبلدنا الحبيب خاصة عبر تاريخه - وعلى وجه الخصوص الحديث والمعاصر - من حروب وفتن كان آخرها سيطرة الإرهاب الداعشي على مساحات واسعة منه كان له الأثر الكبير في عزوف بعض الناس عن المساجد، وكأنهم في فعلهم هذا يحاربون هذا التنظيم المنحرف وفكره الضال !!! لذلك

(١) عمارة المساجد المعنوية وفضلها: ص ٦٣.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٥٦.

(٣) سورة النحل: من الآية ١٢٥.

كله كان لابد من إعادة النظر في مجتمعاتنا الإسلامية ومحاولة إعادتها إلى جادة الصواب.

٥. اتجاه الأسرة مؤخراً نحو إدخال أبنائها المدارس الأكاديمية والكليات والمعاهد العلمية، مما أثر سلباً على التوجه نحو دراسة العلوم الشرعية في المدارس والكليات والمعاهد الإسلامية، ومن ثمّ أثر سلباً أيضاً على توجيه هؤلاء الأبناء ومنذ نعومة أظفارهم نحو تلقي العلم والعلوم الشرعية في المساجد.

المطلب الثاني: الحلول المعالجة لغياب الدور التعليمي للمساجد:

في مقابل هذه الأسباب التي رأى فيها الباحث أسباباً أساسية لغياب الأدوار التعليمية للمساجد في الوقت المعاصر، رأى أن يقدم بعضاً من الحلول والمعالجات لهذه الأسباب عسى أن تكون حلاً ناجعاً لما تعيشه المساجد وتشهده من غياب النواحي التعليمية في حلقاتها وبيئاتها. ولعل من أبرز هذه الحلول هي:

١. إعادة تفعيل الأدوار التعليمية للمساجد بما يتلاءم مع واقع مجتمعنا وطابعه الديني والتعليمي، ولا يتحقق ذلك إلا بدعوة الناس للعودة إلى دينهم ومساجدهم وملازمة الصلاة فيها وعقد الحلقات العلمية والأخذ من مشايخها وعلمائها. وهنا تقع المسؤولية في ذلك على دواوين الأوقاف وعلى الأئمة والخطباء الذين ينبغي أن يبنوا لهذه المهمة محبين الناس في المساجد داعين إلى الله من على منابرهما، وهم بذلك يسرون على سنة الحبيب المصطفى (صلوات ربي وسلامه عليه) في جعل المسجد داراً للعبادة وللعلم والتعلم، فعلى الرغم من فضل المسجد الحرام والمسجد النبوي على ما سواهما في المكانة إلا أنه لا فرق بين كونهما بيتان من بيوت الله تعالى يحب الله أن تقام فيهما شعائره وتصل إلى الناس علومه الشرعية، وكذلك الحال يجب أن يكون في بقية المساجد فكلها بيوت الله التي يحب فيها ذلك.

٢. تفعيل دور الأسرة المسلمة والبيت المسلم في تعليق قلوب الأبناء بالمساجد، من خلال اصطحاب الآباء لأبنائهم إلى المساجد لأداء الصلوات الخمسة، وكذلك تسجيل الأبناء والبنات في دورات تعلم القرآن الكريم وحفظه التي تقام في المساجد سيما في العطل الصيفية، ليأخذوا التربية الشرعية والعلوم الدينية على حدٍ سواء، ذلك لأننا إذا ما (قارنا بين النتائج التربوية التي يقدمها المسجد من خلال الدروس العلمية وبين ما تقدمه المدارس من خلال الدروس العلمية نفسها نجد الفرق واضحاً حيث نجد أن الدراسة في المسجد يقارنها غالباً الجانب التربوي ويصاحبها الورع والتقوى، فليست الدراسة في المسجد دراسةً نظريةً يقصد منها مجرد العلم والمعرفة وإنما هي دراسةً تربويةً يقصد منها

العمل أولاً، فلا يكاد الدارس ينتظم في حلقات المسجد حتى يتبدل سلوكه وتسمو أخلاقه ويظهر بمظهر المئزن الحكيم ويتقوى إيمانه فينشر هذه الفضائل في أسرته ومن يتصل به من معارفه^(١).

٣. تغيير الحكومات لنظراتها تجاه المساجد والعمل على تفعيل الأدوار التعليمية لها وتخفيف الضوابط التي قد تفرضها أحياناً عليها سيما فيما يخص إقامة الحلقات العلمية فيها، والسماح لإبقائها مفتوحة أمام المصلين ليتدارسون فيها العلوم، وعدم تقييد مواقيت افتتاحها بأوقات الصلاة فقط.

٤. اضطلاع الاعلام لدوره البارز في إحقاق الحقائق وتبرئة الدين الاسلامي من جرائم الارهاب البشعة التي أُلصقت به، والتأكيد على أن الارهاب الذي يقتل أبناء الشعب الواحد بجميع أطرافه ومذاهبه، لا ينتمي البت لأي فئة ولا يمثل أي طائفة أو ديانة أو مذهب.

(١) عمارة المساجد المعنوية وفضلها: ص ٦٣.

الخاتمة

- بعد هذا العرض الموجز لموضوع " غياب الدور التعليمي للمساجد - الأسباب والمعالجات - " خلص البحث إلى جملة من النتائج، أهمها:
١. الأهمية الكبيرة التي تشكلها المساجد في جميع نواحي المجتمع الاسلامي الدينية منها والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية بل وحتى السياسية، والدور الريادي الذي اعتلته هذه المساجد في العصور الاسلامية الأولى في قيادتها للمجتمعات الاسلامية في تلك النواحي، وتخريجها لكوكبة من العلماء في شتى العلوم الدينية منها والعلمية عبر تلك العصور.
 ٢. لما كان اتباع سنة النبي (ﷺ) واقتفاء أثره واجباً علينا كمسلمين لذلك وجب علينا التأسى في جعل مساجدنا كما أحب وأراد أن يكون مسجده (ﷺ) وكما سار عليه صحابته الأخيار (رضي الله عنهم) في جعل المساجد دوراً للعبادة ومقرات للقيادة والادارة ومدارس علمية وتربوية وتشريعية يجتمع في ساحاتها المسلمون وتلقى من على منابرها التعاليم والدروس، وأن تكون مساجدنا كذلك كما كان المسجد النبوي والمساجد الاسلامية في عصورها الأولى مؤسسات اجتماعية يتعلم المسلمون فيها النظام والمساواة وكل ما ينفعهم من أمور دينهم ودنياهم ويمارسون فيها الاخاء والانضباط.
 ٣. بالسير على سنة الحبيب المصطفى (ﷺ) في ذلك تأسست مساجد في العصور الاسلامية الأولى كان لها ولازال الباع الطويل في التعليم الاسلامي كالأزهر الشريف في القاهرة وجامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في بغداد وغيرها، وإلحاق المدارس الدينية والكليات الشرعية والعلمية بهذه الجوامع منذ تأسيسها وإلى يومنا الحاضر، وهذا ما نطمح إليه ونسعى لتفعيله في جميع المساجد وفي مختلف البلدان الاسلامية.
 ٤. إن غياب الدور التعليمي للمساجد كانت وراءه أسباب عديدة بعضها تعليمية وأخرى سياسية وغيرها اجتماعية وفكرية، كتأسيس المدارس والمعاهد والكليات الشرعية التابعة للوزارات والجامعات الأكاديمية، وسياسة بعض الحكومات في الحد من أدوار المساجد التعليمية بصورة مباشرة كتحديد مواعيد افتتاح المساجد ومواعيد اغلاقها أو بصورة غير مباشرة من خلال دعواتها القائمة على تأسيس المجتمعات المدنية، وكذلك اتجاه بعض الأسر نحو توجيه ابنائها لطلب العلوم في الكليات والمعاهد العلمية، وأيضاً ما خلفته الحروب والفتن والمجاميع الإرهابية من تشويه صورة الاسلام وعزوف البعض من الناس عن طلب العلم الشرعي والتعلق بالمساجد.
 ٥. وفي مقابل هذه الأسباب التي رأى فيها الباحث أسباباً أساسية لغياب الأدوار التعليمية للمساجد، رأى أن هناك جملة من الحلول الناجعة التي يجب أن تتخذ للعودة بالمساجد

إلى أدوارها الريادية في مجال العلم والتعليم ولعل أبرزها: دعوة الناس للعودة إلى دينهم ومساجدهم وملازمة الصلاة فيها وعقد الحلقات العلمية والأخذ من مشايخها وعلمائها وتقع مسؤولية ذلك على خطباء الجوامع في حث الناس على ذلك من جهة وعلى دور الأسرة المسلمة في حث أبنائها وتعليق قلوبهم بالمساجد من جهة أخرى، فضلاً عن دور الحكومات من خلال تغيير نظراتها تجاه المساجد والعمل على تفعيل الأدوار التعليمية لها وتخفيف الضوابط التي قد تفرضها عليها أحياناً، وكذلك الدور البارز للإعلام في إحقاق الحقائق وتبرئة الدين الإسلامي من جرائم الارهاب البشعة التي أُلصقت به.

ثبت المصادر

- ❖ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلوي(ت:١٣١٥هـ)، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء: د.ت).
- ❖ تاريخ التربية والتعليم: أحمد سعد مرسي، عالم الكتب، (القاهرة: ١٩٧٢م).
- ❖ تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري: أحمد منير الدين، دار المريخ، (الرياض: ١٩٨١م).
- ❖ تاريخ المساجد الشهيرة: عبدالله سالم نجيب، (د. ن).
- ❖ الدارس في تاريخ المدارس، عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت: ٩٢٧هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٤١٠هـ).
- ❖ دراسة في السيرة: عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، دار النفائس، (بيروت: ٢٠٠٤م).
- ❖ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التميمي الدارمي البستي (ت: ٣٥٤هـ)، صحّحه وعلق عليه: عزيز بك وجماعة من العلماء، ط٣، الكتب الثقافية، (بيروت: ١٩٩٦م).
- ❖ السيرة النبوية: جمال الدين أبي محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط١، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة: ١٩٥٥م).
- ❖ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، (بيروت: د.ت).
- ❖ عمارة المساجد المعنوية وفضلها: عبد العزيز عبد الله الحميدي، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (الرياض: ١٩٩٨م)،
- ❖ الكامل في التاريخ: عزالدين علي بن محمد بن عبدالكريم بن الأثير الجزري (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٩٧م).
- ❖ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي(ت: ٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، (القاهرة: د.ت).

❖ وظيفة المسجد في المجتمع، صالح بن ناصر بن صالح الخزيم، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (المملكة العربية السعودية: ١٤١٩هـ).